الانوار

السبت ١٢ أيلول ١٩٩٢

قضايا ثقافية

بين الوعي واللاوعي

الازدواجية الدائمة التي يحيا فيها الانسان، والتي سبق للعلم ان اثبتها وللاديان ان اكدت وجودها، وللانسان ان عاشها عبر الازمان والدهور... يمكن ايجازها بازدواجية الوعي واللاوعي!

وكثيرا ما تلعب هذه الازدواجية دورها في حياة الانسان، وتتحكم بافعاله وتصرفاته. لكنه نادرا ما يوجه انتباهه اليها، او يعيرها اهتمامه. لذلك تبقى هذه الازدواجية في حيز اللاوعي، دون ان يتوصل الانسان الى درب توحيدها.

فلو ان الانسان وعى حقيقة هذه الازدواجية، لاستطاع ان يعمل على تطويرها والاستفادة من غايتها، وايصالها الى الوحدة، هدفها. لكن الانسان غافل عن كل ما يحويه، وما يدور حوله. لأنه يأبى التفكير والتحليل في كل ما يعترضه، وما يصادفه من امور حياتية.

فكم من مرة نراه يتصرف بطريقة ثم نجده يتصرف بطريقة مناقضة... حتى وان كان الظرف الذي تواجد فيه هو نفسه في المرتين!

كم من مرة يندم على تصرفه بعد حين.

تجده تارة يعرف، واخرى يجهل... تارة انانيا واخرى كريما... مرة رفيقا واخرى فظا... طورا سعيدا وآخر حزينا... مرة واعيا واخرى لا واعيا. نلقاه تارة مبدعا واخرى فاشلا... مرة حكيما واخرى متسرعا الخ... كل هذه الصفات تجدها في الشخص نفسه. وكأن الوعي شمس... تشرق حينا وتغيب حينا آخر... وكأن الانسان مسيّر في حياته وفي وعيه، يخضع لارادة «شمس الوعي» هذه، فنراه مرة يحيا في النور واخرى في الظلام.

لكن، هل الانسان مسيّر حقا؟

لا بالطبع. لان الانسان مخيّر قبل وجوده في الجسد، وحتى نهاية المطاف. لكنه يمارس حرية الاختيار هذه لتبقى في الظلام، ويشكو ظلم القدر!

واقع الحال ان الانسان يحوي الوعي واللا وعي. لان الازدواجية سبيل الى الوحدة ـ الى الوعي الكامل! انما. الحقيقة أبعد معنى من هذا: اذ بين الوعي واللاوعي درجات ومراحل يعبرها الانسان ليصل الى الوعي الكامل. لكن ما حقيقة هذا الوعي واللاوعي؟ لم الانسان يتصرف تارة من خلال الوعي، وتارة اخرى من خلال اللاوعي ؟!

الحقيقة تقول ان في الانسان طاقة عظيمة تعتبر مركز ثقل الكيان البشري، هي الطاقة العقلية، هذه الطاقة كفيلة بايصال الانسان الى حيث يريد. الا انها تحوي الازدواجية ايضا. فيمكنها ان توصل الانسان الى النور، كما بامكانها ايصاله الى السلام! والسر يكمن في معلومة خفية عن الاذهان. تتكلم هذه المعلومة عن المحبة، فتقول: «ان استطاع الانسان ان يقرب بين هذه الطاقة العقلية ومحبته، انتهج الفكر منهج النور، الوعي... وان هو ابعدها عنها حدا به الى الظلام، اللاوعي. بكلمة اخرى، اذا وجهت المحبة الطاقة الفكرية اوصلتها الى الوعي، وكان عمل الانسان واعيا حكيما، وان ابتعدت المحبة عن الطاقة الفكرية، اوصلت الى اللاوعي، وصار الانسان يتخبط في الظلمة»!

من هنا يمكن الاستنتاج ان الازدواجية كامنة في الانسان. لكنها ما وجدت الا لتوصله الى الوحدة، وذلك عبر «صمام» وحيد هو المحبة! فاقتراب المحبة من الفكر يوصل الى الوعي، وينميه ويفتحه... وابتعادها عنه يؤدي الى اللاوعي، وكذلك ينميه ويقويه.

وفي كلا الحالين، للانسان حرية الاختيار في ما يفعل. فهو باستطاعته التوجه حيثما يريد... من دون إلقاء اللوم على القدر والتشكي من ظلمه اذا ما سار في المسار الخاطىء.

هذا الكيان الهائل العظيم، المسمى انسانا، يحوي كل شيء، ويمكنه فعل اي شيء اذا امتلك المقدرة على ذلك. وامتلاك هذه المقدرة يبدأ بدرب توحيد الفكر مع العواطف، او العقل مع القلب، او التفكير مع المحبة. عندها يرتفع الانسان فوق الازدواجية، فيتحول اللاوعي الى وعي، ويحيا المرء في وحدة دائمة ـ وحدة الكيان الانساني. هذا هو المصير!

ايلي ابو سمره